في أواسط السبعينات تم اعتماد التخفي كخط ومتطلب لا مهرب منه، بما يتجاوز المطاردة، فالطريد دائم الحركة ويمكن أن يظهر هنا وهناك لتأدية مهامه، وهؤلاء في العادة لا يطول بهم الحال، أشهر أو سنوات قليلة، وكان منهم المئات في سنوات الانتفاضة الكانونية المجيدة.

أما قطاع غزة فعرف نموذجا مسلحاً، عشرات وعشرات المطاردين بين عامي ٦٨ و٧٣، من نشطاء الجبهة الشعبية وفتح وقوات التحرير، كان مآلهم الاستشهاد أو الاعتقال لسنوات مديدة.

أما التخفي فهو «الاحتجاب الكلي وعدم الظهور إلا على أهل الشأن»، حسب التوصيف الذي نحته البعض، وهؤلاء دائرة ضيقة، مجرد آحاد أو أقل قليلا أو أكثر قليلا تبعا لحجم المسؤوليات. والمتخفي يصبح أثرا بعد عين، فينقطع عن العمل والتعليم والأهل والأصدقاء، ويصبح ملكا جماعيا للعمل الثوري الذي يتكفل بتلبية متطلباته الأساسية من إقامة وطعام وملابس وعلاج... فهو محترف ثوري بالمعنى اللينيني، يمنح النضال جماع شخصيته وكل وقته، فهو شغله الشاغل، وعليه الاصطبار على ذلك واثبات كفاءة مميزة وقدرة عالية على الاضطلاع بما يناط به من مهام متنامية تتطلب سجايا متنوعة.

ولأنه محترف وليس هاويا، فهو يتصرف على هذا النحو بما يتصل بذلك من قوة شكيمة ومجالدة على الحرمان. وقد تشمل الحرمانات عدم تمتعه بالشمس أو الهواء النقي لأشهر وسنوات. إذ يغدو مطلبا عزيزاً مجرد تسفُّعه باشعة الشمس او تمتعه بنسمات عليلة، والأمر نفسه ينطبق على التمشي في الطرقات أو إقامة علاقة بامرأة أو لقاء بصديق. فهو يستجيب للدور المناط به بحزم.

ولئن اعتقل في وقت قصير أدين دون مواربة، سواء نتيجة خطأ منه أو خطا من الذين حوله. فهو لا يملك حق التصرف بنفسه وإنما يرقى إلى مستوى التماهي في مهامه ترشده كلمات لينين (مطلوب جهاز لتنفيذ سياسة لا سياسة لإرضاء جهاز) والذين لا يصلحون عليهم الاختباء تحت تنورات زوجاتهم، فلا يتجشمون مواقع اكبر منهم، وان فعلوا جلبوا الضرر والمضرة، وهذا لا يمكن التسامح معه.

كما عليه أن يحافظ على صحة جيدة إجمالا، والإعياء المسموح به هو إعياء العمل، أما المرض فينطوي على أعباء قد تتوافر وقد لا تتوافر. والصبر وطول النفس يلازمان المتخفي دون ترف التذمر أو التشكي، فهو قائد لمهامه، والقائد يبث العزيمة وقوة الإرادة.

والمتخفون يتموضعون في قلب فريق المحترفين الثوريين، وقد يكونون رأس الجسم التنظيمي